

الدكتور خفاجي العالم الأديب الناقد الموسوعي

د. علي صبح^{*}

في الواحدة من صباح الأربعاء الثامن من صفر عام ١٤٢٧ هـ الموافق الثامن من مارس عام ٢٠٠٦ م انتقل إلى جوار ربه الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بعد أن ألقى محاضراته لطلاب الدراسات العليا بكلية اللغة العربية حتى الثانية عشرة صباح الثلاثاء اليوم السابق، وأصر على توديع الكلية أساتذة وطلابًا وموظفين وعمالًا، وسلم على الجميع وودعهم، وخرج من الكلية ليبقى في بيته. وظل على اتصال بي عن طريق الهاتف حتى الساعة الثانية عشرة مساء الأربعاء، وهو يردد نقد ذهب إلى الكلية وودعتها وودعت الجميع فيها . حتى صعدت روحه إلى بارئها بعد ساعة من آخر اتصال وحديث على الهاتف رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

والدكتور خفاجي عالم وأديب وناقد موسوعي صاحب مدرسة علمية معاصرة في الأزهر الشريف وجامعه وجامعات العالم الإسلامي والعربي، ومعظم تلامذته من كلية اللغة العربية تولوا عمادات كليات اللغة العربية والدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة وبفروع جامعة الأزهر المختلفة في أكثر من عقدين من الثمانينيات في القرن العشرين، وتقلد بعضهم وكالة الأزهر ورياسة الجامعة ونياباتها.

وأطلقت عليه بعض المؤلفات المنشورة عنه وهي كثيرة في مصر وفي العراق والسعودية وفي بلاد المغرب وتونس ألقابًا عدة، فقد أطلق عليه

(*) أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر، القاهرة.

الناقد الأدبي رشيد الداودي "جاحظ القرن العشرين" في كتابه المنشور "الخفاجي أديبا ناقدا"، وقد أشار إلى ذلك للكاتب الكبير أنيس منصور في عموده "مواقف" بصحيفة الأهرام في ٢٠٠٠/٥/٣١م، ونشرت صحيفة "صوت الأهرام" في عددها الصادر يوم الجمعة ٩ محرم ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/٤/١٤م تحقيقاً في صفحة كاملة عن "خفاجي جاحظ القرن العشرين"، كما تحدث عنه الأستاذ هلال ناجي رئيس اتحاد المؤلفين والكتاب بالعراق في كتابه عن الدكتور خفاجي المنشور بعنوان "شاهد على العصر سيوطي مصر في القرن العشرين الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي"، فقال: ومن أبرز هؤلاء العباقرة في قرننا هذا صديقي المفضل العلامة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي رئيس رابطة الأدب الحديث، والذي ما زالت عشيرته (خفاجة) عزيزة الجانب بين قبائل العراق. لقد استطاع العلامة الجفاجي أن يمد جناحيه عبر دنيا الأدب العربي، فيضفي عليها جدة وأصالة وشمولية فذة، فخلال ستين عاماً صدرت له آثار مصنفة أو محققة جاوزت الخمسمائة أثر مطبوع، وهو أمر لا نعرفه لغير السيوطي جلال الدين في القرن العاشر الهجري؛ مما جعل متقينا وعارفي فضله وعلمه يلقبونه عن جدارة بـ"سيوطي مصر في القرن العشرين".

وقد تخرج على يديه أجيال من الأساتذة والدكاترة، واختارته الجامعات المختلفة المصرية والعربية عضواً مناقشاً في رسائل الماجستير والدكتوراه، وحكّمته الجامعات المختلفة في فحص النتاج العلمي للمرشحين لوظائف الأساتذة في أقسام الأدب والنقد، وفي القيام بالتدريس لطلاب الجامعات المختلفة.

وهو رئيس لأقدم جمعية ثقافية وأدبية في مصر وهي "رابطة الأدب الحديث" بالقاهرة - ذات الستين عاماً من حياتها، والتي رأسها أمير الشعراء أحمد شوقي، ثم الدكتور أحمد زكي أبو شادي، والدكتور إبراهيم ناجي في الفترة الأولى من حياتها، ثم الناقد مصطفى السحرني في الفترة الثانية من

نشاطها، وفي الوقت نفسه كان الدكتور خفاجي يرأس مجلس إدارة مجلة الحضارة الثقافية والأدبية.

كتب عنه كثير من النقاد والأدباء في مصر والعالم العربي وفي المهجر، كما كتب عنه بعض المستشرقين وفي مقدمتهم الدكتور عبد الكريم جرمانوس، والدكتور أرنست بانرث في دراسات متعددة، وصدرت عنه وعن أعماله العلمية والأدبية أكثر من عشرة كتب، وسجلت عنه رسائل جامعة في مصر وتونس والجزائر والسعودية. وفي مصر نوقش منها رسالة الباحث محمد العربي عن "خفاجي شاعرًا" بكلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٩١، ونوقشت رسالة الباحث حسن واصل عن "الخفاجي ناقدًا" في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود فرع جامعة الأزهر عام ١٩٩٤م، ونوقشت رسالة الباحث عبد الناصر قناوي عن "الخفاجي العالم الموسوعي جاحظ القرن العشرين وسيوطي علماء الأزهر في العصر الحديث" عام ١٩٩٥ بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر فرع أسيوط، وهناك رسائل أخرى في مصر وغيرها.

وبلغت مؤلفاته ما يقرب من ألف كتاب منشور ومخطوط وبحث أكاديمي منشور في المجلات الأكاديمية المحكمة في محيط العالم العربي والإسلامي على امتداد ستين عاما، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

كتب في الإسلام بلغت اثنين وأربعين كتابا من بينها "الإسلام وحقوق الإنسان" (وللدكتور أبو شادي دراسة عنه أذيعت من صوت أمريكا في أكتوبر ١٩٥١). و"الإسلام دين الإنسانية الخالد"، مكتبة القاهرة.

وقد كان رائداً في تناول جانب أهمل من جوانب الأدب، هو الأدب الصوفي، حيث أصدر في ذلك أربعة كتب: "التراث الروحي للتصوف الإسلامي في مصر" دار مفيس للطباعة، و"الصوفي المجدد" دار التأليف بالقاهرة، "التصوف الإسلامي وظلاله في الأدب العربي"، جزءان مكتبة القاهرة، "الأدب في التراث الصوفي"، مكتبة غريب.

كما أخرج موسوعة تاريخ الأدب التي غطت مناحي شتى في الأدب بعصوره المختلفة، وقد تجاوزت أربعة وثمانين كتابًا، من أوائلها "الحياة الأدبية في العصر الجاهلي"، ومن أحدثها ظهورًا كتاب "موقف النقد من الشعر الجاهلي"، مكتبة الأنجلو المصرية.

أما كتبه التي تناولت الشعر خاصة فبلغت عشر كتاب من أبرزها: "البناء الفني للقصيدة العربية"، "فن الشعر". جزءان، مكتبة محمد صبيح بالقاهرة .

وقد اهتم كثيرًا بأعلام الأدب والنقد؛ فأخرج خمسة عشر كتابًا منها: "أبو عثمان الجاحظ" ط (١) ١٩٦٣، (٢) ١٩٧١، و"ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان" ط (١) ١٩٤٨ ط (٢) ١٩٤٨، و"العقاد صحفياً وأديباً" بالاشتراك مع د/ شرف.

وقد يظن البعض مما سبق عرضه من كتب أستاذنا الدكتور الخفاجي أن إنتاجه انحصر في الأدب، ولكن لقب "سيوطي العصر وموسوعي القرن العشرين" كان حقاً به؛ حيث برز إنتاج في النحو واللغة "ثلاثة عشر كتاباً" منها: "تهذيب الأجرومية"، مكتبة الحلبي، ١٩٤٦. "توضيح الأزهرية"، مكتبة صبح .

أما تصانيف في التاريخ فبلغت أربعة عشر كتاب منها: "بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي"، ٩ أجزاء. "الأزهر في ألف عام"، أجزاء ١٩٥٢، طبعة ثانية عام ١٩٨٨.

ورغم هذا التنوع وهذه الغزارة على المستويين الأفقي والرأسي إلا أن لأستاذنا الدكتور محمد خفاجي باعاً في مجال قلما يُجمع معه غيره هو تحقيق التراث؛ فأخرج لنا ما يزيد عن ثلاثة وخمسين كنزاً من عيون التراث العربي منها: "الإيضاح في البلاغة"، ٦ أجزاء نشر مكتبة الكليات الأزهرية. "مقامات الحريري بشرح الشريشي"، ٤ أجزاء، نشر مكتبة المشهد الحسيني،

طبعت عدة. "صحيح الإمام البخاري" بالاشتراك ، ١٠ أجزاء نشر مكتبة الرياض.

ولم يكن شيخنا من ذوي النفوس الضعيفة الذين يريدون الدنيا لهم، لا يسمع إلا صوتهم ولا تقرأ إلا كتبهم، بل سعى إلى تقديم كثير من الكتاب والمبدعين من خلال مقدماته الرائعة للعديد من الكتب (ثمانين كتاباً) مثل: "رحيق الأرواح". و"هاتف من الصحراء الأشواق"، شعر لمحمود شوقي الأيوبي. و"شعراء معاصرون"، تأليف الأديبين الكبيرين مصطفى عبد اللطيف السحرتي وهلال ناجي. و"التيارات الأدبية في العراق" للدكتور يوسف عز الدين، وقد جعل إهداء هذا الكتاب إلى الخفاجي.

هذه الغزارة العلمية غير المسبوقة لم تكن قاصرة على تأليف الكتب أو تحقيق التراث، بل شملت أيضاً الإبداع الشعري؛ فهذه دواوين الأستاذ الدكتور عبد المنعم خفاجي امتدت على مدار سبعين عام منذ كان في العشرين حتى قبيل وفاته بعامين.

١٩٣٦	وحي العاطفة
١٩٤٩	أحلام الشباب
١٩٦٩	أحلام السراب
١٩٧٢	الديوان الإسلامي
١٩٧٣	نغم من الخلد
١٩٨١	على الضفاف
١٩٨٣	أشواق الحياة
١٩٨٧	أغنيات من عبقر
١٩٨٨	نشيد الذكرى
١٩٤٧ طبعة أولى	نشيد الصحراء - مسرحية

طبعة ثانية ١٩٨٨	
١٩٨٨	ملحمة السيرة النبوية للخالدة
١٩٨٨	أحلام المساء
١٩٨٩	أصداء الذكريات
١٩٩٠	أحلام الأمس
١٩٩٢	أحلام الذكرى
١٩٩٣	أنشودة الغد
١٩٩٤	في مواكب العصر
٢٠٠٤	للذكرى

ماذا أضاف الخفاجي في الفكر والأدب؟

- ١- تدوين تاريخ مدرسة أبولو في كتابه "رائد الشعر الحديث" بجزئيه.
- ٢- القصص التاريخي في كتبه (قصص من للتاريخ- مواكب الحرية في مصر الإسلامية - مواكب النبوة- مشاهد من السيرة العطرة- مواكب الحياة) وغيرها.
- ٣- كتاباته في أدب التراجم في كتبه: (ابن المعتز - أبو عثمان الجاحظ- أبو دلف) وغيرها.
- ٤- الأدب الإسلامي بكتاباته منذ الثلاثينيات في الإسلاميات.
- ٥- كتاباته عن الأزهر (كتاب الأزهر في ألف عام بأجزائه الثلاثة) وغيرها.
- ٦- تاريخه للأدب المصري في كتبه: (قصّة الأدب في مصر) وغيرها.
- ٧- البحث عن الجذور كما في كتبه عن قبيلة خفاجة.

- ٨- سلسلة الأدب العربي.
- ٩- سلسلة التراجم الأدبية وأعلام الأدب العربي.
- ١٠- تأكيده على أن الثقافة العامة جزء من الأدب ومن الثقافة الأدبية.
- ١١- كشفه عن أصول المقامة العربية.
- ١٢- الكتابة عن أدب الشباب.
- ١٣- كتابته عن أسطورة السموأل ووفاته ونفيه لها، وكشفه عن الشخصية اليهودية وديانتها في تمجيد نفسها طوال العصور.
- ١٤- الكشف عن شخصية أبي الفتح الإسكندري بطل مقامات بديع الزمان الهمذاني.
- ١٥- الكشف عن جامعة إسلامية كبرى قامت في مصر منذ الفتح الإسلامي قبل قيام جامعة الأزهر بثلاثة قرون ونصف، وهي جامعة الفسطاط الإسلامية التي كان من شيوخها الإمام الشافعي، وتتلذذ فيها على شيوخها أبو تمام، وكان للمتنبى حلقة للشعر والنقد فيها.
- ١٦- الدعوة إلى إنشاء مجمع للفقهاء الإسلامي منذ عام ١٩٦١م، وتحقق ذلك بإنشاء مجمع الفقه الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٩٨٠م.
- ١٧- المناداة بأدب إسلامي في وقت مبكر.
- ١٨- الدعوة إلى إنشاء مسجد رسمي للدولة عام ١٩٥٣، وتحقق ذلك بإنشاء جامع عمر مكرم في ميدان التحرير.
- ١٩- الدعوة إلى إنشاء مركز للقرآن الكريم، ومركز للسنة، قد تحقق بعض ذلك بإنشاء مسجد الفتح وقيام مركز السنة.
- ٢٠- إنشاء سوق الفسطاط للشعر والنقد مع الدكتورين عبد العزيز شرف ومختار الوكيل.

- ٢١- إنشاء جماعة أبوللو الجديدة بالاشتراك مع الدكتورين عبد العزيز شرف ومختار الوكيل.
- ٢٢- الكشف عن أول كتاب في النقد العربي وهو فحولة الشعراء للإمام الأصمعي.
- ٢٣- الكشف عن جنود قبيلة الخفاجيين وعن الدولة الخفاجية التي قامت في جنوب العراق منذ القرن الرابع الهجري واستمرت أكثر من قرنين من الزمان.
- ٢٤- الكشف عن الفكر النقدي عند الإمام عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز.
- ٢٥- الدعوة إلى الاحتفال بمرور اثني عشر قرناً على وفاة إمام العربية سيبويه عمرو بن بشر.
- ٢٦- التأريخ للإمام ابن خلدون أستاذاً في الأزهر الشريف، وتحقيق أن المقدمة لابن خلدون قد نقحها وراجعها المراجعة الأخيرة هذا المفكر الإسلامي الكبير في الأزهر الشريف.
- ٢٧- الكشف عن أن المسلمين هم أول من اكتشفوا الكهرباء.
- ٢٨- الكشف عن معنى الآية الكريمة "ومن آياته خلق السموات الأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير"، وأنها تشير إلى معجزة ستتحقق وهي الاهتمام إلى إنسان الكواكب الأخرى التقائه بإنسان الأرض.
- ٢٩- الكشف عن معنى الآية الكريمة في وصف الجنة ودخول المؤمنين فيها بقوله تعالى : "فتحت لهم الأبواب"، وأن أبواب الجنة ستفتح للمؤمنين دون أي عمل أو جهد أو تدخل آلة أو مادة.

٣٠- الكشف عن مؤاخاة بين المسلمين الأولين في مكة قبل الهجرة، تعد هي المؤاخاة الأولى التي سبقت المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين في المدينة.

٣١- الدعوة إلى تأليف مجلس أعلى للدعوة الإسلامية (راجع كتاب الخفاجي: الإسلام والعصر ص ١١٧).

ولد الخفاجي في قرية ثلثانة من قرى مركز المنصورة بمحافظة الدقهلية في ١٩١٥/٧/٢٢، ثم حصل على الشهادات المختلفة في مراحل التعليم بالأزهر الشريف، ثم نال درجة الليسانس في اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٤٠، ثم عمل مدرساً في الليسيه فرنسيه حتى عام ١٩٤٤، في العام نفسه حصل على الشهادة التمهيدية للأستاذية.

حصل على الشهادة العالمية من درجة أستاذ - الدكتوراه في الأدب والنقد ١٩٤٦ برسالته عن الشاعر الناقد الخليفة العباسي ابن المعتز.

عيد مدرسا في كلية اللغة العربية عام ١٩٤٨، ثم رئيساً لقسم الأدب والنقد في الكلية نفسها عام ١٩٧٣، ثم عميداً لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع أسبوط عام ١٩٧٤، ورئيساً للفرع نفسه حتى بلوغه سن المعاش.

عين عضواً في المجلس الأعلى للأزهر، وعضواً في مجلس جامعة الأزهر ١٩٧٤ - ١٩٧٨، وعضواً في لجنة الشعر في المجلس الأعلى للفنون والآداب عام ١٩٧٣م.

وعضواً في لجنة الشعر ثم في شعبة الآداب في المجالس القومية المتخصصة منذ عام ١٩٧٦م، وعضواً في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة.

انتخب نائباً لرئيس رابطة الأدب الحديث عام ١٩٦٩م، عين أستاذاً متفرغاً بجامعة الأزهر منذ عام ١٩٨٠م. وأستاذاً في معهد الدراسات

الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٨١م. اختير أستاذًا زائرًا في كلية الآداب جامعة الخرطوم السودانية عام ١٩٧٥م. كان عضوًا في جماعة أبوللو منذ قيامها عام ١٩٣٢م.

وهو عضو في مجلس إدارة اتحاد للكتاب منذ عام ١٩٧٦، وخبير في مجمع اللغة العربية منذ عام ١٩٨٤، وعضو في المجالس القومية المتخصصة (شعبة الآداب).

رشحته جامعة الأزهر للجائزة التقديرية عام ١٩٨٩ (فرع الآداب)، كما رشح للجائزة عن عام ١٩٩٥. حصل على وسام العلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣م.

اشترك في إعداد تفسير للقرآن الكريم الذي نشرته وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى لشئون الإسلامية منذ عام ١٩٦٩. اشترك في إعداد تفسير القرآن الكريم الذي ينشره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر منذ عام ١٩٧٦.

اشترك في العديد من المؤتمرات الأدبية والثقافية والإسلامية، منها مهرجانات الشعر التي أقامها المجلس الأعلى لفنون والآداب بالاشتراك مع الجامعة العربية، وغيرها.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.